

## الوحدة السابعة: نقد الشعر عند ابن رشد.

يعد ابن رشد واحد من ملخصي وشارحي كتاب "فن الشعر" لأرسطو طاليس، وقد لاحظ أن كثيرا مما ورد في هذا الكتاب خاص بأشعار اليونانيين وعاداتهم فيها، وقد كان واعيا تماما بما يتوافق مع الشعر العربي وما يتعارض معه ويتضح ذلك من خلال مناقشته لعدة قضايا أبرزها:

### 1- الأقاويل الشعرية والمحاكاة عند ابن رشد:

الأقاويل الشعرية بالنسبة لابن رشد هي " الأقاويل المخيِّلة. وأصناف التخيل والتشبيه ثلاثة، اثنان بسلطان وثالث مركَّب منهما، أما الاثنان البسيطان فأحدهما تشبيه شيء بشيء وتمثيله به، وذلك يكون في لسان بألفاظ خاصة عندهم مثل: كأن و أخال وما أشبه ذلك في لسان العرب، وهي التي تسمى عندهم حروف التشبيه. وإما أخذ الشبيه بعينه بدل الشبيه، وهو الذي يسمى الإبدال في هذه الصناعة، وذلك مثل قوله تعالى "وأزواجه أمهاتهم" ومثل قول الشاعر:

هو البحر من أي المواضع أتيته

وينبغي أن تعلم أن في هذا القسم تدخل الأنواع التي يسميها أصل زامنا استعارة وكناية... والصنف الثالث من الأقاويل الشعرية هو المركَّب من هذين<sup>1</sup>.

يعتبر ابن رشد أن التخيل المتمثل في مختلف الصور البيانية هو عماد الشعر في الثقافة العربية. وترد المحاكاة عند ابن رشد بمعنى التشبيه في كثير من الأحيان، والتشبيه يعني أو يرادف التخيل، وقد استحسّن ابن رشد الكناية واعتبرها من محسنات القول، لعدم التصريح فيها بأسماء الأشياء، لأن التصريح بها أمر بشع، وكلما كانت المسافة بين المشبه والمشبه به بعيدة كلما زادت حدة الانزياح.

المحاكاة = التشبيه = التخيل.

وقد تأتي المحاكاة مقترنة بالتخيل فيصبح كلا منهما متما للآخر، فيشملان معا معنى التصوير، أو ما قد يتضمن معنى التأليف الشعري عامة، وقوله هذا يوحي بذلك: "ويجب على الشاعر أن يلزم في تخيلاته ومحاكياته الأشياء التي جرت العادة باستعمالها في التشبيه وألا يتعدى في ذلك طريقة الشعر"<sup>2</sup>. أي أثناء تأليف الأقوال الشعرية حري بالشاعر أن يلتزم اللغة المخيِّلة.

<sup>1</sup> فن الشعر، مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد، تر عبد الرحمان بدوي، ص ص 201، 202.  
<sup>2</sup> ألفت كمال عبد العزيز، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين-من الكندي حتى ابن رشد-، ص 87.

ويعني مصطلح المحاكاة عند ابن رشد في أحيان أخرى الاستخدام المؤثر للغة الشعرية، في مقابل الاستخدام العلمي التجريدي المباشر للغة في البرهان يقول: " وها هو نوع آخر من الشعر هي الأشعار التي هي في باب التصديق والإقناع أدخل منها في باب التخيل، وهي أقرب إلى المثالات الخطبية منها إلى المحاكاة الشعرية..."<sup>1</sup>. ويجد هذا في شعر المتنبي وكمثال عنه قوله:

ليس التكلُّ في العينين كالكلِّ في طلعة الشمس ما يُغنيك عن رُحل

هذا البيت - حسب ابن رشد- يهدف إلى الإقناع الذي يقصد إلى التصديق، وهذا يحيلنا أن المحاكاة والتخيل عنده استخدام خاص للغة يعتمد أساسا على التصوير وبيتعد عن الحجج العقلية والمنطقية، لأنها ترمي إلى تحقيق غاية جمالية ولا يراد منها تصديق ما.

كما يعتبر ابن رشد المحاكاة والوزن ضرورة من ضرورات الشعر التي لا يستقيم إلا بها إذ يقول: "الأشعار الطبيعية هي التي تجمع بين المحاكاة والوزن"<sup>2</sup>. فالمحاكاة هي الفارق بين القول الشعري والنثري بصفة عامة، وبينه وبين الخطابة بصفة خاصة.

والرأي نفسه يتفق فيه ابن رشد مع الفارابي وابن سينا الذي يعتبر فيه أن الشعر الذي يتسم بالجودة ليس هو الذي توفر فيه الوزن فقط، وإنما الذي اجتمع فيه الوزن مع التخيل يقول " وقد تكون أقاويل منثورة مخيِّلة، وقد تكون أوزان غير مخيِّلة لأنها ساذجة، بلا قول وإنما وجود الشعر بأن يجتمع فيه القول المخيِّل والوزن"<sup>3</sup>.

## 2- وسائل المحاكاة عند ابن رشد.

يرى ابن رشد أن المحاكاة في الأقاويل الشعرية تكون من قبل ثلاثة أشياء: من قبل النغم المتفككة، ومن قبل الوزن، ومن قبل التشبيه نفسه، وهذه قد يوجد كل واحد منها منفردا عن صاحبه مثل وجود النغم في المزامير، والوزن في الرقص، والمحاكاة في اللفظ، أعني الأقاويل المخيِّلة غير الموزونة، وقد تجتمع هذه الثلاثة بأسرها، مثلما يوجد عندنا في النوع الذي يسمى الموشحات والأزجال، وهي الأشعار التي استنبطها في هذا اللسان أهل هذه الجزيرة. إذ كانت الأشعار الطبيعية هي ما جمعت الأمرين جميعا، والأمور الطبيعية إنما توجد للأمم الطبيعيين، فإن أشعار العرب ليس فيها لحن، وإنما هي: إما الوزن فقط، وإما الوزن والمحاكاة معا فيها"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 88.

<sup>2</sup> ألفت كمال عبد العزيز، ص 91.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 92.

<sup>4</sup> فن الشعر مع الترجمة العربية وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد، تر وتح عبد الرحمن بدوي، ص 203.

حاول ابن رشد أن يسقط ما أدركه نظرياً من أن المحاكاة في الشعر تكون من قبل اللحن والوزن واللفظ، فأيقن أن هذا يمكن أن يوجد في الشعر الأندلسي وبالتحديد (الموشحات والأزجال)، ثم نظر في الشعر العربي، فوجده قائماً على الوزن واللغة فقط دون اللحن، وعليه فابن رشد يرى أن المحاكاة والتخييل في الشعر تكون من قبل الوزن واللفظ فقط.

## مصدر الشعر/طبيعة الشعر عند ابن رشد.

يعتقد ابن رشد أن مصدر الشعر عند الإنسان يعود إلى علتين:

العلة الأولى:

إن التشبيه والمحاكاة أمر طبيعي لدى الإنسان، أي أنه وجد مع ولادة الإنسان، وقد أختص الإنسان بالمحاكاة دون غيره من الكائنات الأخرى، لأن الإنسان هو الذي يتلذذ بتشبيه الأشياء التي أحسها ومحاكاتها، إضافة إلى أنها أداة مساعدة على الفهم والتعلم، وقد عبّر ابن رشد عن ذلك في قوله " أن الإنسان من بين سائر الحيوان، هو الذي يتلذذ بالتشبيه للأشياء التي قد أحسّها وبالمحاكاة لها... وبخاصة إذا كانت المحاكاة شديدة الاستقصاء، مثلما يعرض في تصاوير كثير من الحيوانات التي يعملها المَهْرَة من المصوّرين"<sup>1</sup>.

العلة الثانية:

من طبيعة الإنسان أيضاً أن يتلذذ بالوزن والألحان، لهذا يرى ابن رشد أن حب الإنسان للمحاكاة والألحان والأوزان هو الذي ساهم في وجود الظاهرة الشعرية، يقول ابن رشد: " فالتذاد النفس بالطبع بالمحاكاة والألحان والأوزان هو السبب في وجود الصناعات الشعرية، وبخاصة عند الفطر الفائقة في ذلك"<sup>2</sup>.

## وظيفة الشعر.

### 1- الوظيفة التعليمية:

يعتبر ابن رشد الأقاويل الشعرية وسيلة ناجعة لتعليم الجماهير خاصة الصبية، بل الأكثر ملاءمة حتى إذا كبروا استعملت معهم الأقاويل البرهانية. وعليه يتخذ الشعر طابعاً تعليمياً مهماً، لأنه يعتمد على التصوير والاستخدام الحسي للغة عموماً، والتصوير يساعد على تقديم الأفكار المجردة والأشياء بشكل حسي ملموس، بحيث يمكن للإنسان البسيط العامي أن يتعرف على تلك الأفكار ويفهمها ويتعلمها، لهذا أطلق ابن رشد على الشعر

<sup>1</sup> فن الشعر مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفراهي وابن سينا وابن رشد، تر و تح، عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص206.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص207.

"التعليم الشعري" تثبيتا للدور التعليمي الذي يقوم به الشعر في تقريب الأشياء التي يعسر فهمها، ولاعتماده على المحاكاة التي تقرب الفهم ويتقوّم بها الشعر.<sup>1</sup>

## 2-الوظيفة التربوية:

حث ابن رشد على تعليم الشعر للنشء، وعدّه طريقا مؤدية إلى تحصيل الفضائل في نفوس المدنيين، وتأديب وتهذيب الصبية من أجل الارتقاء بأخلاقهم إلى أفضل حال يقول: "إننا نقول أن هناك طريقتين تحصل بهما الفضائل في نفوس المدنيين، أحدهما الأقاويل الخطابية والشعرية، والآخر الإكراه"<sup>2</sup>. أي الأقاويل الاقناعية والانفعالية لها نجاعة وتأثير على تغيير سلوك المتلقي نحو الأفضل، فبإمكان الشعر أن يهذب النفس ويبعدها عن الأفعال القبيحة أو الرذائل، بتصويرها بشكل مقزز ومنقّر، ويحبب إليها الفضائل ويقربها بإظهارها في أحسن الصور.

يرى ابن رشد أن أكثر أشعار العرب لا تحث على الفضائل، فالنسيب مثلا يحث على الفسوق، لذلك ينبغي تجنبه، وتأديب الصبية بالأشعار التي تحث على الشجاعة والكرم والتي توجد عند العرب ضمن غرض الفخر. وقد تحامل ابن رشد على الشعر العربي وقال أن مدائح الفضائل لا توجد في أشعار العرب، وأنه يفتقر إلى نمط المحاكاة اليونانية، وتفتن إلى أن الشاعر أمامه نمط آخر هو قصص المواعظ القرآنية، فقد تحدث ابن رشد عن القرآن الكريم بوصفه نصا أدبيا بالدرجة الأولى، واعتبره النموذج الأول للأقاويل الهادفة إلى تقويم النفس الإنسانية وتهذيبها<sup>3</sup>.

لذلك دعا إلى محاكاة الأقاويل الشرعية الدالة على العمل، كحادثة يوسف عليه السلام التي تمثل في رأي ابن رشد نموذجا جيدا للأقاويل المدحية<sup>4</sup>.

## 3-تحقيق المتعة:

يتفق الفلاسفة المسلمون حول حقيقة مفادها أن الشعر نافع ولذيذ في الآن نفسه، إذ يحقق نوعا من الاستجابة الانفعالية التأثيرية لدى المتلقي، إضافة إلى الفائدة التعليمية أو التربوية .

وتقترن اللذة عندهم بالمحاكاة، بل هي سمة لصيقة بها، حتى لو كانت المحاكاة موجهة إلى أمور الجدّ، فهي في حد ذاتها ملذّة، غير أن هذه اللذة تقترن قيمتها بما تقدمه من فائدة.

1 ينظر، ألفت كمال عبد العزيز، المرجع السابق، ص، ص148،147.

2 المرجع نفسه، ص، 150.

3 ينظر، ألفت كمال عبد العزيز، المرجع نفسه، ص 158.

4 الأخضر جمعي، نظرية الشعر عند الفلاسفة الإسلاميين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1983-1984، ص163.

ويرى ابن رشد أن لذة الشعر ناجمة عن اعتماده على المحاكاة مثل اللذة الناجمة عن سائر الفنون التي تعتمد على المحاكاة كالتصوير والرسم. والسر في وجود اللذة وتحقيقها أن المحاكاة ليست تقليدا حرفيا للواقع، وأنها تتوسل بوسائط حسية مثيرة كالألوان والتزاويق في الرسم والصور والموسيقى في الشعر، ومن ثمة فهي تجذبه ثم تساعد على فهم ما يراد إفهامه، فاللذة عند ابن رشد مقترنة بالفائدة خاصة الفائدة التعليمية والتربوية<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> ينظر، ألفت كمال عبد العزيز، المرجع السابق، ص ص 140، 141.